الأبابيل

ثَـــارَتْ بِأَمْـــرِ اللَّـــهِ لاَتَتَهَيَّبُ
غَضْبَىٰ تُـزَمْجِـرُ كَـالـرُّعُـودِ وَتُـرْعِبُ
مِثْل الأَبَـــابِيـلِ التِي قَـــدْ أُرْسِلَـتْ
تَـرْمِي سِهَـامَ اللَّـهِ وَهْـوَ يُصَـوِّبُ
أَوْ كَـــالقَضَـــاء إِذَا تَعَبَّـأَ زَحْفُهَـــا
لاَشَيْءَ يَحْجِـزُ مَـــدَّهَـــا أَوْ يَحْجُبُ
خَجِلَت سُيُـوفُ الهِنْـدِ لَمَّـــا عَـاينَت
أَحْجَـارَهَـا لَمْ يَنْبُ مِنْهَـا مَضْـرِبُ !
مَـــا لِلبَـرَاعِـم وَالقِتَـــالِ وَعَهْـدُنَـــا
أَنَّـــا نَـرَاهَـــا فِي المَسَـــارِحِ تَلْعَبُ ؟
تَـرْتَجُّ فِـي أُرْجُـوحَـةٍ وَمَعَ الـــدُّمَى
تَلْهُـــو وَلِلنَّغَمِ المُحَبَّبِ تَطْـــرَبُ
مَـا شَأنُهَـا بِـالحَـرْبِ وَهِيَ أزَاهِـرٌ
فَـوَّاحَـةٌ وَمَشَـــاعِـــرٌ لاَتَنْضُبُ ؟
خَـرَجَتْ إِلَى الـدُّنْيَـا وَمِـلْءُ عُيُـونِهَـا
دَمْعٌ وَفِـي أَسْمَـــاعِهَـــا مَنْ يَنْـــدُبُ !
لَمْ يُبْصِـــرُوا مِنْ حَـــوْلِهِـم إِلاَّ الأَسَى
يَمْتَصُّ أُمَـــاً، أَوْ يَمُـــوتُ بِـــهِ أَبُ

دَرَجُـــوا عَلَـى الأشْـــوَاكِ لَمْ يَهْنَـأ لَهُم
عَيْشٌ وَلَـمْ يَعْـــذُب لِطِفْـلٍ مَشْـــرَبُ
لَمْ يَعْـــرِفُـــوا الأعْيَـــادَ فِي أيَّـــامِهم
فَحَيَـــاتُهُـم مَـــوْتٌ، وَعَيْـشٌ مُجْـــدِبُ
وَكَأنَّمَـــا ادُّخِـــرُوا لآخِـــرِ سَـــاعَـــةٍ
لِيَتَـمَّ أمْـــــرٌ فِي السَّمَـــــاء مُغَيَّـبُ

* ● *

أبَتِ الشَّهَـــامَـــةُ فِي طُفُـولَـــةِ يَعْـرُبٍ
أنْ تَسْتَكِينَ، وَفِـي الـــديَـــارِ مُعَـــذَّبُ
وكَأنَّهَـــا فِـي ظُلْمَـــةِ الأرْحَـــامِ كَـــا
نَـتْ لِلْعَـــــدُوِ وَطَـــــرْدِهِ تَتَأهَّـبُ !
فَأقَـــامَـتِ الـــدُّنْيَـــا عَلَى حَصَيَـــاتِهَـــا
وَرَأتْ صِغَـــاراً كَـــالعَمَـــالِقِ تُـــرْهِبُ
ورَأتْ كَتَـــائِبَ سَطَّـــرَتْ بِـــدِمَـــائِهَـــا
مَـــــالاَ يُسَطِـــــرُ مَـنْ يَخُط وَيَكْتُـبُ
فِـي كُـلِّ مُعْتَقَـلٍ وَدَارٍ ثَـــــــوْرَةٌ
وَبِكُـلِ مُنْعَطَفٍ يُكَبِـــــرُ مَـــــوْكِـبُ !
وَبِكُـلِ رُكْنٍ مَـأتَـمٌ وَمَنَـــــاحَـــــةٌ
وَبِكُـــلِ حَـــيٍ مُثْخَـــنٌ وَمُخَضَّـــبُ

واللَّـــهُ أكْبَـــرُ فِي المَـــآذِنِ صَيْحَـــةٌ
تُـــذْكِي المَشَـاعِـــرَ فِي القُلُـــوبِ وَتُلْهِبُ
وَيَهُـــــودُ فِـي دَوَّامَـــــةٍ آرَاؤُهَـــــا
فِي قَمْـعِ ثَـــــوْرَةِ شَعْبِنَـــــا تَتَشَعَّبُ
لَمْ تُجِـــدِهَـــا ألآتُهَـــا وَعِصِيُّهَـــا
وَالعَمُّ سَـــــامُ وَمَـنْ لَهَـــا يَتَقَـــرَّبُ
وَإذَا أرَادَ الشَّعْبُ يَـــــوْمـــــاً لَـمْ يَكُنْ
صَعْبـــــاً عَلَـى أحْـــــرَارِهِ مُتَطَلَّـبُ

* ● *

وَيُـــــذِيبُ قَلْبَكَ حَيْـثُ شِيئْتَ فَظَـــائِعٌ
نَـــازِيَـــةٌ وَطُفُـــولَـــةٌ تَتَعَـــذَّبُ
فِي عَـــالَـمٍ جَـــدْبٍ بِـــلاَ خُلُقٍ وَلاَ
دِينٍ يِقِيـــــهِ وَلاَ ضَمِيـــرَ يـــؤنبُ
تَعْثُـــو يَهُـــودُ كَمَـا تَشَـــاءُ وَحَـــوْلَنَـــا
أُمَمٌ – عَلَـى أوْجَـــاعِنَـــا – تَتَـــرَقَّبُ
أقْصَى مُـــرُوءَتِهَـــا وَنَجْـدَتِهَـــا لَنَـــا
وَفْـــدٌ يَجِيءُ، وَمُسْتَشَـــارٌ يَـــذْهَبُ !
فَلْيَمْنَحُـــوا (هِتْـــلِيرَ) صَكَّ بَـــرَاءَةٍ
وَلِيَـرْجُمُـوا (شَـامِيـرَ) فَهْـوَ المُـذْنِبُ !

لِلَّـــهِ آبَـــاءٌ كِـــرَامٌ قَـــدَّمُـــوا
أرْوَاحَهُم، وَسَخَـــوا بِمَـنْ قَـــدِ انْجَبُـــوا !
لَمْ يَـــرْكَعُـــوا رَغْمَ الخُطُـــوبِ لِغَـــاصِبٍ
قَـــــدْ كَـــــانَ يَحْلُمْ أنَّـــــهُ لاَيُغْلَـبُ
قَـــدْ أقْسَمُـــوا أنَّ لاَتَنَـــامَ عُيُـــونُهُم
وغُـــرَابُ شُـــؤْمٍ فِـي المَغَـــانِـي يَنْعَبُ
عَـاشُـوا زَمَـــانـاً بِـالـوُعُـــودِ وَبِـالمُنَى
فَإذَا وُعُـــودُ الغَـــرْبِ بَـــرقٌ خُلَّبُ !
وَتَيَقَّنُـــوا أنَّ الجِهَـــادَ شَـهَـــادَة
وَالسَيْفَ يَصْـــدُقُ وَالسِيَـاسَـــة تكْـذِبُ !
وَالنَّصْـــرُ لاَيَأتِـي بِـــلاَ تَضْحِيَـــةٍ
وَالمَهْـــــرُ لاَيَغْلَـى عَلَـى مَنْ يَخْطُـبُ

* ● *

مَـــرْحَـى لأشْبَـــالِ العَـــرِيـن وَمَنْ بَنَت
أحْجَـــارُهُم مَـــا لَـمْ تَشِـــده الأحْقُبُ
أحْجَـــارُكُم فِـي تَـــاجِ يَعْـــرُبُ مَنْجَمٌ
مِنْ لُـــؤْلُـــؤٍ غَـــالٍ، وَسِفْـــرٌ مُـــذَهَبُ
قَـــرَّتْ بِهَـــا عَيْنَـــا صَـــلاَحِ الـــدِينِ فِي
عَـرِصَـــاتِـهِ وَعَـــلاَ صَـدَاهَـــا المُطْـرِبُ

وَاهْتَـــزَّتِ الـــدُّنْيَـــا لَهَـــا وَكَأنَّهَـــا
قَـــدْ رَاعَهَـــا مِنْهَـــا صَنِيـعٌ مُعْجِبُ
ضَـــاعَـت سِنُـــونَ ! وَنَحْنُ فِـي دَوَّامَـــةٍ
تَجْـرِي الـرِيَـاحُ وَلَيْسَ يُقْلِعُ مَـــرْكَبُ
وَخِـــــلاَفُنَـــــا دَاءٌ مُقِيـمٌ مُقْعِـــــدٌ
لَمْ يَشْـفِ مِنْ أوْجَـــاعِـــهِ مُتَطبِـبُ
مَنْ عَـاقَ وَحْـدَتَنَـا لِنُصْـرَةِ قُـدْسِنَـا
وَمَنِ المُسِيـىء بِخُلْفِـــهِ المُتَهَـــرِّبُ ؟
وَمَتَى انتَهَـت أُمَمٌ إلَى غَـــايَـــاتِهَـــا
إنْ قَـــادَهَـــا مُتَهَـــوِرٌ مُتَـــذَبْـــذِبُ ؟
وَمَتَى تَهُـبُّ لِتَفْتَـــدِي إخْـــوَانَهَـــا
وَبِجَنْبِهَـــا كَـــالشَّـــوْكِ جَـــارٌ ثَعْلَبُ ؟
نَخْشَى العِنَـــاقَ إذَا التَقَيْنَـــا مَـــرَّةً
وَنُحِسُّـــهُ خُلُقـــاً عَسِيـــراً يُطْلَبُ !
فَكَأنَّنَـــا غُـــرَبَـــاءُ يُنْكِـــرُ بَعْضُنَـــا
بَعْضـــاً، وَفَتْـحُ قُلُـوبِنَـــا يُسْتَصْعَبُ !
صَهْيُـــونُ تَقْتُلُ شِيبَنَـــا وَشَبَـــابَنَـــا
وَالعُـــرْب نَـــاعِيَـــةٌ تَنُـــوحُ وَتَخْطُبُ !
وَتَحُـــجُّ لِلْقِمَـــمِ التِـــي لاَتَنْتَهِـــي
لَتَعُـــودَ بَعْـــدُ إلَى الحَضِيضِ وَتَـــرْسُبُ

هَــذِي الحِجَـارَةُ أخْــرَسَت فُصَحَـاءَنَــا

وَأرتهمُـــو أنَّ الحِجَـــارَةَ تُعْـــرِبُ !

وَالطِفْلُ قَـــالَ لَنَـــا جَمِيعـــاً : اقعُـــدُوا

أنْتُمُ هُنَـــا، وَأنَـــا لِـــوَحْـــدِي أذْهَبُ !

* ● *

رَمْيـــاً فَـــلاَ شُلَّـت يَـــدَاكَ وَلاَ انطفَـــا

فِي القُـدْسِ عَـــزْمُـــكَ كَـاللَّظَى يَتَـوثَّبُ

وَاغْسِلْ سَـــوَادَ العَـــارِ عَن هَـــامَـــاتِنَـــا

وَأضِيء لَيَـــالِيَنَـــا فَإنَّـكَ كَـــوْكَبُ

وَتَحِيَـــةً لِلْحَـــامِـــلاَتِ مَشَـــاعِـــلا

بَيْنَ الصُّفُـــوفِ تَقُـودُهَـــا وَتُـــؤلِبُ !

هَجَـــرَت نَفَـائِسَ حَلِيهَـــا وَحَـــرِيـرِهَـــا

وَرَضِيعَهَـــا البَـــاكِي لِمَـنْ لاَيَحْلُبُ

وَأرتكَ نَـــاعِمَـــةُ البنَـــانِ بُطُـولَـــةً

عَـــرَبِيَـــةً مِنْ غَيْـرِهَـــا تُسْتغْـرِبُ !

وَالأُمُّ إنْ طَـــابَتْ أُصُـــولاً أثْمَـــرَت

أغْـــرَاسُهَـــا وَزَكَـــا جَنَـــاهَـــا الطِيبُ

لَايَأسَ مِـنْ نَصْـــرٍ لِقَـــوْم لَـمْ يَعُـــوا
فَـــالـــدَّهْـرُ لِـــلأَّهِي الجَهُـــول مُـــؤدِّبُ

فَغَـــداً سَنَسْجُـــدُ فِي مُصَلَّى قُـــدسنَـــا
وَيَتِيَـــهُ مَشْـــرِقُنَـــا بِكُم وَالمَغْـــرِب

وَنُجِـــلُّ فِـــي طِفْلِ العُـــرُوبَـــةِ ثَـــوْرَةً
تِمْثَـــــالُهَـــــا فِي كُـلّ قَلْبٍ يُنْصَـبُ !